

إحياء علوم الدين

فإن قلت فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالأسباب فى هذه الأحوال فاعلم إن المقام الثالث ينفى التدبير رأسا ما دامت الحالة باقية بل يكون صاحبها كالمبهوت والمقام الثانى ينفى كل تدبير إلا من حيث الفزع إلى الله بالدعاء والابتهاال كتدبير الطفل فى التعلق بأمه فقط والمقام الأول لا ينفى أصل التدبير والاختيار ولكن ينفى بعض التدبيرات كالتوكل على وكيله فى الخصومة فإنه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذى أشار إليه وكيله به أو التدبير الذى عرفه من عادته وسننه دون صريح إشارته فأما الذى يعرفه بإشارته بأن يقول له لست أتكلم إلا فى حضورك فيشتغل لا محالة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضا توكله عليه إذ ليس هو فزعا منه إلى حول نفسه وقوته فى إظهار الحجة ولا إلى حول غيره بل من تمام توكله عليه أن يفعل ما رسمه له إذ لو لم يكن متوكلا عليه ولا معتمدا عليه فى قوله لما حضر فقوله وأما المعلوم من عادته وإطراد سننه فهو أن يعلم من عادته أن لا يحاج الخصم إلا من السجل فتمام توكله إن كان متوكلا عليه أن يكون معولا على سنته وعادته ووافيا بمقتضاها وهو أن يحمل السجل مع نفسه إليه عند مخاصمته فإذن لا يستغنى عن التدبير فى الحضور وعن التدبير فى إحضار السجل ولو ترك شيئا من ذلك كان نقصا فى توكله فكيف يكون فعله نقصا فيه نعم بعد أن حضر وفاء بإشارته وأحضر السجل وفاء بسنته وعادته وقعد ناظرا إلى محاجته فقد ينتهى إلى المقام الثانى والثالث فى حضوره حتى يبقى كالبهوت المنتظر لا يفزع إلى حوله وقوته إذ لم يبق له حول ولا قوة وقد كان فزعه إلى حوله وقوته فى الحضور وإحضار السجل بإشارة الوكيل وسنته وقد انتهى نهايته فلم يبق إلا طمأنينة النفس والثقة بالوكيل والانتظار لما يجرى وإذا تأملت هذا اندفع عنك كل إشكال فى التوكل وفهمت أنه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل وأن كل تدبير وعمل لا يجوز أيضا مع التوكل بل هو على الانقسام وسياًتى تفصيله فى الأعمال فإذا فزع المتوكل إلى حوله وقوته فى الحضور والإحضار لا يناقض التوكل لأنه يعلم أنه لو لا الوكيل لكان حضوره وإحضاره باطلا وتعبا محضا بلا جدوى فإذن لا يصير مفيدا من حيث إنه حوله وقوته بل من حيث إن الوكيل جعله معتمدا لمحاجته وعرفه ذلك بإشارته وسنته فإذن لا حول ولا قوة إلا بالوكيل إلا أن هذه الكلمة لا يكمل معناها فى حق الوكيل لأنه ليس خالقا حوله وقوته بل هو جاعل لهما مفيدين فى أنفسهما ولم يكونا مفيدين لولا فعله وإنما يصدق ذلك فى حق الوكيل وهو الله تعالى إذ هو خالق الحول والقوة كما سبق فى التوحيد وهو الذى جعلهما مفيدين إذ جعلهما شرطا لما سيخلقه من بعدهما من الفوائد والمقاصد فإذن لا حول ولا قوة إلا بالله حقا وصدقا فمن شاهد

هذا كله كان له الثواب العظيم الذى وردت به الأخبار فيمن يقول لا حول ولا قوة إلا بالله //
أحاديث ثواب قول لا حول ولا قوة إلا بالله تقدمت فى الدعوات // وذلك قد يستبعد فيقال كيف
يعطى هذا الثواب كله بهذه الكلمة مع سهولتها على اللسان وسهولة اعتقاد القلب بمفهوم
لفظها وهيئات وإنما ذلك جزاء على هذه المشاهدة التى ذكرناها فى التوحيد ونسبة هذه
الكلمة وثوابها إلى كلمة لا إله إلا الله وثوابها كنسبة معنى إحداهما إلى الأخرى إذ فى هذه
الكلمة إضافة إلى شيئين إلى الله تعالى فقط وهما الحول والقوة وأما كلمة لا إله إلا الله فهو
نسبة الكل إليه فانظر إلى التفاوت بين الكل وبين شيئين لتعرف به ثواب لا إله إلا الله
بالإضافة إلى هذا وكما ذكرنا من قبل أن للتوحيد قشرين ولبيان فكذلك لهذه الكلمة ولسائر
الكلمات وأكثر الخلق قيدوا بالقشرين وما طرقتوا إلى اللبين وإلى اللبين الإشارة بقوله
الله لا إله إلا الله لا قال من A